

تعليمية النص الحجاجي في كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة من التعليم المتوسط- الجيل الثاني - الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية-

Teaching the Argumentative Text in the Arabic Language book for the third year of
- Intermediate Education - Second Generation - The Theoretical Basis and Applied Procedures

تاريخ القبول: 2017-11-17

تاريخ الإرسال: 2017-09-21

الدكتورة: جميلة روقاب

أستاذة محاضرة- أ

d.rougab@univ-chlef.dz

كلية الآداب والفنون

جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف (الجزائر)

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعرف بالمنهج الحجاجي، وإبراز آليات توظيفه في تعليمية النصوص اللغوية في مرحلة التعليم المتوسط وذلك لأنّ هذه المقاربة كفيلة بتوضيح أشكال تجسيد الملكة اللغوية لدى المتعلمين؛ إذ لم يعد تعليم اللغة في ضوء اللسانيات التداولية مجرد قواعد جافة ترسخ في الأذهان، بل أضحت العملية تهدف إلى إنجاز أفعال كلامية، وفق السياقات المختلفة تماشياً مع شتى المواقف التواصلية، ولعل النص الحجاجي بما يمتلكه من خصائص ومميزات، قادر على تمكين المتعلمين في هذه المرحلة التعليمية من استثمار مختلف القدرات التي تؤهلهم لاكتساب اللغة، واستعمالها شفويًا وكتبيًا في شتى مجالات الحياة.

الكلمات المفتاحية: التعليمية، الحجاج، النص الحجاجي، كتاب الجيل الثاني، التداولية، نظرية أفعال الكلام.

Abstract:

This research aims to identify argumentative curriculum, highlighting the mechanisms used in instructional language teaching texts because, this approach would clarify forms of teaching 's competence for learners, however, it is no longer in the light of pragmatic linguistics merely to dry in the mind, but has become a process aimed at complete acts of words, according to different contexts in accordance with various situations of communication, perhaps the argumentative text with its features and benefits, able to enable learners at this stage of investment of various abilities that qualify them as language acquisition, and used orally and in writing in different spheres of life.

Keywords: didactic, argument, argumentative text; second generation book, pragmatic; theory of speech acts

مقدمة:

يعتبر النظام التربوي التعليمي بالجزائر من بين الأنظمة التي اعتمدت الكتاب المدرسي وسيلة تعليمية تدخل في صميم الفعل التربوي، إنه يشكل " أهم الموارد التعليمية بالنسبة للمتعلمين والأساتذة، فهو الذي يجسد، ويمكن من إجراء التوجهات التربوية للنظام التعليمي، والاختيارات البيداغوجية المؤسسة للبرامج"، لكنه يبقى في نهاية المطاف مجرد سيناريو من سيناريوهات تصريف المنهاج.

يعدّ الكتاب المدرسي وسيلة من الوسائل الممكن استثمارها من طرف الأستاذ في إعداد درسه؛ وتعدد الكتاب المدرسي في المستوى الواحد يوفر للمدرس إمكانيات متعددة نذكر منها كونه يساهم في: تقليل نغطة التعلم لدى التلاميذ من جهة (استثمار أنشطة ودعامات الكتب المتعددة في الدرس الواحد) وتأكيد مبدأ التفرد، فإذا كانت كتب الجيل الثاني المدرسية بالنسبة للأستاذ أداة عمل ضرورية، فهي بالنسبة للمتعلم المصدر الأساسي للتعلم. لذلك روعي في إعدادها جملة من الاعتبارات التربوية والبيداغوجية والعلمية والجمالية حتى تكون في مستوى المناهج الجديدة وأداة فعالة بين أيدي المتعلمين.

تسعى التعليمية إلى ترجمة القدرات والمهارات لدى المتعلم إلى سلوكات لها علاقة وثيقة بمتطلبات المجتمع، مع إمكانية تقويمها وتعديلها، وتعكف اللسانيات - ولاسيما التطبيقية بالذات - باعتبارها المجال الأرحب للممارسة التعليمية، على إيجاد أفضل التقنيات والمناهج؛ لتطوير العملية التعليمية للغات المنطوق بها في مراحل التعليم.

ولما كانت النظرية التداولية أحدث المناهج اللسانية، كان من اللازم استثمارها في حقل الديدانكتيكية، بغية تحقيق نقلة نوعية في سبيل تفعيل القدرات، واستثمار المكتسبات وتنميتها للمتعلمين، وانطلاقاً من هذا المضمار، تأتي تداولية الحجاج كونها نظرية تعالج وحدات اللغة باعتبارها أفعالاً كلامية، تساعد المتعلم على تحقيق أهدافه طالما أنّ تعلم اللغة لا يقتصر على معرفة بنية الجمل فحسب، بل يتطلب استعمالها لأداء أغراض تواصلية ينشدها.

وعليه: فما هو الحجاج؟ وما هي خصائصه؟ وكيف يتم استثماره كمقاربة بيداغوجية في تعليمية اللغة العربية؟

1- في مفهوم الحجاج:

أ- لغة: يعود الأصل اللغوي للجذر (ح ج ج) في تضاعيف المعاجم اللغوية على أربعة معانٍ أربعة، ورد ذكرها مفصلة في مقاييس اللغة، وهي:

- **القصد:** وكلّ قصد حج، ثمّ اختصّ بهذا الاسم القصد إلى البيت الحرام للنسك.

ومن الباب: المحجّة، وهي جادة الطريق، ويمكن أن تكون الحجة مشتقة من هذا، لأنّها تُقصد، أو بها الحقّ المطلوب، يقال حاججتُ فلاناً فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حُججٌ، والمصدر الحجاج.

- **الحجّة:** وهي السنة.

الحجاج: وهو العظم المستدير حول العين. **الحجججة:** النكوص، يقال: حملوا علينا ثمّ حجججوا¹. و جاء في لسان العرب لابن منظور: "يقال حاججته أحاجة حجاجاً حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها والحجة البرهان وقيل: الحجّة ما دافع به الخصم²، و"فلان خصمه محجوج"³.

ويترتب على السالف ذكره استنتاج أنّ لفظ (حجج) يدور حول أربعة معان:

- أوّلها: القصد وهي أصل المعنى.

- وثانيها: المخاصمة والمغالبة قصد الظفر.

- وثالثها: الإحاطة والصلابة.
- ورابعها: النكوص والكفّ والتوقف والارتداد.
- ويقابل هذه اللفظة في الفرنسية كلمة (**Argumentation**) التي تدل على معاني متقاربة أبرزها: القيام باستعمال الحجج.
- مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة⁴.
- وتتطلب عملية الحجاج ثلاثة أركان أساسية، هي:
- المحاج: وهو صاحب الغلبة في الحجاج.
- المحجوج: وهو المغلوب.
- الحجج: التي تدور على ألسنة المتناظرين.
- ب- اصطلاحا:**

لعلّ الدلالات الأصلية لمفهوم الحجاج الذي عليه مدار السير والتكشيف والتوصيف، تفرّق بين دلالاته في القرآن الكريم، ومستوى القرائن السياقية الأخرى. فمفهوم الحجاج في القرآن الكريم معرّب عنه بأشكال من العبارات والأساليب، التي تروم الحوار وتهدف إلى الإقناع بالبراهين والأدلة العقلية، والكونية والفطرية، وقد جمع القرآن الكريم كل تلك الدلالات ضميمة جامعة هي: الحجة البالغة⁵.

كما تعددت تعاريف الحجاج (**Argumentation**) من حقل معرفي لآخر، وحسب العلوم التي يوظّف داخلها، أساسا أو عرضا، فهو يمثل تلك المراحل أو الخطوات التي يحاول بها الواحد أو الجماعة أن تقود المستمع إلى تبني موقف معيّن، وذلك بالاعتماد على تمثيلات ذهنية مجردة أو حسية ملموسة، أو على قضايا جازمة تهدف في الأساس إلى البرهنة على صلاحية رأي أو مشروعيتها⁶، وبالتالي ممارستها مع الآخرين دفاعا عن أفكاره ومعتقداته، عارضا أو مفتدا، محاورا أو مقنعا⁷، والحجاج بوصفه نمطا من أنماط الخطاب، يمكن تسميته بالخطاب الإقناعي الذي يعرفه بوتون فيليب بأنه "نشاط إنساني، يتخذ أوضاعاً تواصلية متعددة، ووسائل متنوعة، ويهدف إلى إقناع شخص، أو مستمع أو جمهور ما، بتبني موقف ما، أو مشاركة في رأي ما"⁸.

ويفرّق ديكرين بين معنيين للفظ الحجاج، المعنى العادي والمعنى الفني الاصطلاحي؛ فالنوع الأول هو طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجحا فعّالا، وهذا معيار تحقق سمة الحجاجية، غير أنّه غير كافٍ؛ إذ يجب ألاّ تُهمل طبيعة السامع، ومدى القدرة على استخدام التقنيات الحجاجية في الإقناع، في حين يدلّ المعنى الثاني على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، وتكمن الخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية في كونها متدرجة وقابلة للقياس⁹.

وليس بخفي على أحد، أنّ أهل الاختصاص قد أعطوا للخطاب الحجاجي بعداً تداولياً متميّزاً، لتصبح الغاية منه؛ جعل العقول تدعن لما يُطرح، وتقوية درجة الإذعان لدى السامعين بشكل يجعلهم مهيبين للقيام بذلك العمل المطلوب في اللحظة المناسبة¹⁰، بيد أنّ الأمر يصبح أكثر وضوحاً عندما يكون السؤال الطروح هو: ماهي وجوه التمايز والتداخل والتشابه بين الحجاج ومفردات أسرته المفهومية؟

2- الحجاج ومرادفاته الدلالية:

من المصطلحات المقارِبة دلاليّاً للفظ الحجاج؛ البرهنة (**Démonstration**) أو الاستدلال المنطقي، فكلاهما يحمل مفهوماً يختلف عن الآخر، فلفظة الحجاج لا تعني البرهنة على صدق قضية أو إثبات شيء ما، أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية¹¹، وعليه فالخطاب الطبيعي ليس بالضرورة خطاباً برهانياً، فهو لا يقدم براهين أو أدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي¹²، في حين يدل الاستدلال أو ما يصطلح عليه بـ: (**Raisonnement**)، أنّ هناك الحجّة التي "تعتبر شيئاً مختلفاً تماماً عن الاستدلال أو البرهان"¹³، فضلاً عن الإقناع والجدل والسّجال.

3- المنهج الحجاجي:

أ- تعريفه:

يتعارض المنهج الحجاجي في اللغة مع العديد من النظريات والتصورات الحجاجية الكلاسيكية، والتي تعتبره منتبياً إلى البلاغة الكلاسيكية (أرسطو)، أو البلاغة الحديثة عند (برلمان وأولبريخت تيتيكا، وميشال ميسر)، أو حتّى منتبياً إلى المنطق الطبيعي لصاحبه (جان بليز غريز).

ويعدّ أوزفالد ديكر أول من أسس لهذا المنهج منذ سنة 1973م، فهذا اللغوي الفرنسي اهتمّ بوضع نظرية لسانياتية تهتمّ بالوسائل اللغوية، وإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلّم؛ وذلك قصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، حيث أراد تبيان حقيقة أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية أو جوهرية (**Intrinsèque**) وظيفة حجاجية، مرتكزا في هذا الأساس على تلك الفكرة السائدة التي مفاده أنّنا نتكلّم بعامة قصد التأثير¹⁴؛ لأنّ الحجاج كفعل قولي "يفرض على المخاطب نمطاً معيّناً من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلّق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميّه واستمراره"¹⁵؛ ذلك لأنّ الحجاج مؤسّس على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب.

ولاغرو أنّ نظرية الحجاج في اللغة لم تنشأ من العدم؛ بل انبثقت من داخل نظرية تداوليّة أخرى لا تقلّ شأناً عنها هي "نظرية الأفعال الكلامية"؛ وهذا الاتجاه التداولي كان يتزعمه اللغوي الانجليزي: أوستين (**Austin**) وتلميذه سورل (**Searle**)، ولقد قام ديكر باقتفاء أثرهما في الدرس اللغوي الحديث؛ حينما قام بتطوير آراء وأفكار أوستين على وجه الخصوص وهو يقعد لمنهج أو نظرية الحجاج.

ومما هو قمين الذكر أنّ أوستين¹⁶ كان له تصوّر ثلاثي للفعل الكلامي يتضمن: فعل القول - لازم فعل القول - قوّة فعل القول.

أمّا سورل فقد كان له تصوّر رباعي للأفعال اللغوية؛ إذ فرّق بين الأفعال المباشرة والأفعال غير المباشرة، بينما ديكرو اقترح - هو الآخر في هذا الصدد - إضافة فعلين لغويين هما: فعل الاقتضاء وفعل الحجاج. وبما أنّ نظرية أفعال الكلام عند أوستين وسورل كانت عرضة لصعوبات عديدة لعلّ أهمّها "عدم كفاية التصنيفات المقترحة للأفعال اللغوية"، فقد قام ديكرو بإعادة تعريف مفهوم الإنجاز¹⁷، مع التمسك بفكرة الطابع المعرفي للغة وتوسيع مجال التداولية المدججة.

ب- أنواعه:

يمكن حصر الخطاب الحجاجي في ثلاثة أنواع هي: الحجاج البلاغي، الحجاج المنطقي، والحجاج التداولي، وتختلف هذه الخطابات باختلاف أصولها وامتداداتها المعرفية والمنهجية، لكن ذلك لا يمنع من تداخلها:

1- الحجاج البلاغي:

وتعدّ البلاغة آلية من آليات الحجاج، وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية والأساليب الجمالية؛ أي إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معاً حتّى يتقبل القضية أو الفعل موضوع الخطاب، ويتميز الحجاج عند بيرلمان (Perleman) بخمسة ملامح رئيسية، هي:

- 1- أن يتوجه إلى مستمع.
- 2- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.
- 3- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
- 4- لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
- 5- ليست نتائجه ملزمة¹⁸، وبالتالي فالحجاج عبارة عن تصوّر معيّن لقراءة الواقع اعتماداً على بعض المعطيات الخاصة بكلّ من المحاجج والمقام الذي يتولد فيه هذا الخطاب، وهذه الخصائص والصّور البلاغية المحورية التي تبنّاها الخطاب الحجاجي ولا سيما الأدبي منه، لأنّها تنشط الخطاب بهدف تحقيق وظيفة إقناعية.

2- الحجاج المنطقي:

إذ الحجاج له بُعدٌ جوهريّ في الفلسفة، وهو آلية وإجرائية من إجرائياتها، وتقاس صلاحية الحجاج الفلسفي بمعايير خارجية، منها: القوة والضعف، الكفاءة وعدمها، النجاح أو الفشل في الإقناع، وغايته: التأثير والتقبّل.

3- الحجاج التداولي:

ويبحث لفظ التداولية على استحضار "نظرية أفعال الكلام" كون الأفعال الكلامية غرضاً رئيساً للتداولية¹⁹ ورصدها بتنوّعها وعلى اختلاف الأبعاد التداولية المتعدّدة المستويات التي يتيح تحقيقها إمكانية معرفة توجّه الخطاب الحجاجي التّداولي، والإجابة عن الإشكاليات الجوهرية والأسئلة المهمّة التي تحيط بعملية التّخاطب (الشفهي أو

(الكتابي). كما تعدّ الحوارية من أهم مستويات تحليّ البُعد التداوليّ للخطاب الحجاجي، وهي العلاقة التخاطبيّة بين المخاطب والمخاطب، والتي تتغيّر وتتنوّع فيها الأداءات في ظاهريّ:

أ- التشخيص: ويتجسد في خاصيّة تلفظية تميّز بحدّة العلاقة الخطابية مع الشريك.

ب - المقام: هو مفهوم تجريدي يدل على الموقف التواصلّي، وتلتقي فيه جميع العناصر الحجاجيّة من قدرات برهانية، وحقائق فعلية، وقرائن بلاغية، والمقام شرط تداولي بلاغي؛ لأنّه يُعنى بضرورة موافقة أفعال القول لمقتضى الحال والموقف الخاص به، وهذا ما يذهب إليه الجاحظ حينما يقول: "مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"²⁰، فالأمر يتعلق أساساً بإيضاح المعنى القائم في النفس حتّى يدركه الآخر، وهذا انطلاقاً من الوظيفة الأولى للغة، وهي التواصل وكشف الكامن في الصدور.

ج- خصائصه:

يتميّز الحجاج بعدّة خصائص، من ضمنها:

- الحجاج ظاهرة اجتماعية: فهو يضمّ عدّة أشخاص منتجين له أولاً ومتقبلين له ثانياً.
- الحجاج وجود فكري فعلي: يتجه نحو الممارسة الآلية وتحكم فيه معطيات المجابهة والمدافعة قدر الإمكان؛ لأنّه عملية تسعى إلى خلق التأثير في الآخرين.
- الحجاج فعل عقلي: لأنّه يتضمن التبرير والتعليل، كما يستخدم البرهنة لصالح الفكرة التي يدافع عنها بطريقة لا تنم عن قوّة أو إكراه.
- الحجاج نشاط لساني: لا يتمّ إلّا باللغة وداخلها سواء اعتبرت اللغة وسيلة أو هدفاً، وسواء كانت لغة ثابتة (جملاً ونصوصاً) أو متغيّرة أقوال وتعابير²¹.
- يترتب على السالف ذكره، أنّ الحجاج ذو طابع اجتماعي يتمّ بالطابع التأثيري، تتنازعه الأفعال العقلية واللسانية، وتسود فيه الحركية والنشاط ذهنيّاً وبيولوجيّاً، فهو بحق يؤسس مجالا تداولياً.

3- الكتاب المدرسي وسيلة تعليمية كلاسيكية:

يعتبر الكتاب المدرسي الترجمان الفعلي للمنهج الدراسي، من سياق التصور والتخطيط، إلى سياق الإنجاز، فهو دعامة حقيقية رائدة في تفعيل وإعمال مقتضيات المبادئ والقيم والاختيارات التربوية العامة، التي نص عليها الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والتي تؤكدها وثيقة الاختيارات والتوجهات التربوية العامة ويبقى الكتاب مصدراً للمعرفة قريب المنال، سهل التعاطي معه من لدن التلاميذ وسيطا بين التلميذ وبين المصادر والموارد الثقافية للمادة الدراسية؛ مساعدا للمدرس والتلميذ على تنظيم المادة وترتيبها وتوجيهها؛ مساعدا على اختيار معينات تربوية أخرى مختلفة ومتنوعة (النصوص/ الصور/ الرسوم / الخرائط / المبيانات / الجداول /)؛ أداة فعالة لغرس القيم، واكتساب وتنمية القدرات والمهارات، وتكوين الاتجاهات، وتصحيح المواقف، وثبيت التعلمات وسيطا بين قيم المجتمع، واتجاهات التلاميذ؛ أداة

تواصلية فعالة في المواقف التعليمية داخل الفصل الدراسي؛ أداة مساعدة للإعداد والمراجعة... خارج الفصل؛ أرضية موحدة تضمن الحد الأدنى من تكافؤ الفرص بين المتعلمين " سند يتضمن النصوص المساعدة والوثائق التي تعد منطلقا للنشاط المدرسي مرجع للتمارين التي يشتغل عليها التلاميذ فضاء للصور والرسوم التوضيحية التي لا تتوفر عليها التلاميذ؛ مصدر لقراءة الملخصات والشروح مساعد على إجراء عملية التقويم"²². ووظائف الكتاب المدرسي بالنسبة للتلميذ أنه يعينه على الإعداد القبلي للدرس، ويساعده على التعلم الذاتي خارج الفصل الدراسي؛ فهو بمثابة مدرس معنوي للتلميذ عند غياب الأستاذ وليس بديلا عنه.

4- المنهج الحجاجي وتعليمية اللغة:

تكمّن أهمية ومكانة الحجاج فيما يتركه من أثر إقناعي لدى المرسل إليه، وهذا طبعا لا يأتي إلا باستخدام اللغة ممّا يدعم فكرة أبي بكر العزاوي، والتي مفادها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير وأنّ الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج، وأنّ المعنى ذو طبيعة حجاجية²³.

وعليه تتجلى أشكال استفادة تعليم اللغة من اللسانيات في عدّة أوجه، تبرز في الأسئلة التالية:

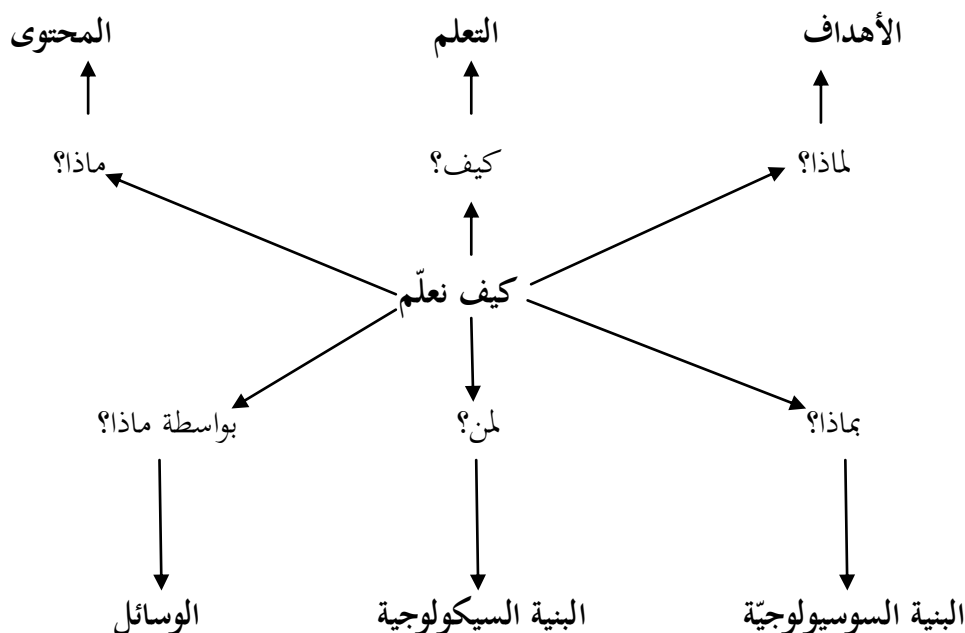
- كيف يمكن الانتقال من المعرفة اللسانية ذات الطابع العلمي إلى المعرفة المدرسية ذات الطابع التعليمي؟
- كيف نكيّف محتويات المعرفة اللسانية مع الطرق التربوية وحاجيات المتعلم اللغوية؟
- كيف يمكن الاستفادة ديداكتيكيا من مختلف النماذج اللسانية²⁴؟
- لذا فمن الضروري الاستفادة من اللسانيات التربوية لترقية تعلّم اللغة العربية، وهذا الأمر في غاية الصعوبة؛ ولا سيما في ضوء التطوّرات التالية:

- تعدّد النظريات اللسانية واختلافها.

- التطور المستمر للنماذج اللسانية نتيجة انفتاح اللسانيات على مختلف العلوم.

وبالتالي يتساءل المهتمون: أية نظرية لسانية صالحة لتعليم اللغة؟

ومما لاشك فيه أنّ العملية التعليمية متشابكة الأطراف، تتداخل فيها عدة عناصر، يمكن توضيحها وفق هذه الخطاطة²⁵:



فلتبليغ المتعلم مهارات وكفاءات تتماشى وقدراته النفسية، واحتياجاته الاجتماعية، لا بد من إعطاء أهمية لكل عنصر من عناصر العملية التعليمية- التعلمية، وهنا وجب اعتماد المقاربة الوظيفية؛ والتي من شأنها تحقيق الكفاءة التواصلية للتلميذ في سياقات متعددة، نفسية واجتماعية وثقافية؛ ولهذا تكون المرحلة المعرفية النهائية التي يصل إليها الطفل بعد استكمال تعلمه للغة، هي قدرة لغوية تواصلية، لا تؤهله لإنتاج جمل نحوية فقط، بل كذلك لإنتاج هذه الجمل فيما يلائمها من سياقات الاستعمال²⁶.

5- النص الحجاجي:

يتميز المختصون بين عدّة أنماط للخطاب، ويقوم هذا التصنيف على معايير أهمّها:

- المعيار الأول: غرض الخطاب.
- المعيار الثاني: نوع المشاركة فيه.
- المعيار الثالث: طريقة المشاركة.
- المعيار الرابع: نوع قناة تمريره.
- المعيار الخامس: وجهه²⁷.

فباعتداد المعيار الأول يمكن تنميط الخطاب من حيث غرضه التواصلية المستهدف إلى خطاب سردي، وخطاب وصفي، وخطاب حجاجي، وخطاب تعليمي، وغيرها، أمّا من حيث نوع المشاركة، فيمكن أن يكون الخطاب حوار ثنائياً، أو حواراً جماعياً، أو مجرداً (مونولوج)، ومن حيث طرق المشاركة، فقد تكون مباشرة بين متخاطبين متواجهين، أو

غير مباشر(مكتوبا) أو شبه مباشر كالمهاتفة والبعث الإذاعي أو التلفزيوني، ونوع القناة يحدّد الخطاب بكونه شفويًا أو مكتوبا، ومن حيث وجهه فإنّ الخطاب يمكن أن يكون موضوعيًا، لا يستدعي تدخل المتكلّم، أو خطابا ذاتيًا، يضمّنه المتكلّم انفعالاته ووجهات نظره.

ومّا سلف ذكره نستطيع القول أنّ الخطاب الحجاجي هو قرين التدليل والاستدلال والإقناع، وهي معطيات وليدة العقل، يشارك فيه عنصران على الأقلّ، أي الباث والمتلقي، وهما طرفا الحجاج، كما تتأرجح طريقته المعتمدة بين الحوار الإقناعي المباشر، وبين استمالة الطرف الآخر كتابيًا عن طريق حشد الشواهد والبراهين، وعليه يمكن القول أنّ الخطاب الحجاجي قد يرد شفويًا أو كتابيًا، وبخصوص وجه الخطاب فهو موضوعيّ؛ يسعى طرفا الحجاج - كلّ من موقعه- إلى إثبات أو تفنيد الموضوع محلّ الجدل للتأثير في الآخر، وتغيير سلوكه؛ ولهذا "يبرز دور القلب المنطقي، كما هو متوقّع، في الخطاب الحجاجي، الذي يقوم أساساً على إواليات الاستدلال"²⁸.

فالكلام الحجاجي هو في الحقيقة إحدى الوظائف التي تؤديها اللغة الطبيعية، التي هي نقيض اللغة العلمية المصنوعة والاصطناعية؛ فكما أنّ اللغة الاصطناعية غير مفيدة في الحجاج، كذلك اللغة الطبيعية غير مفيدة للاستعمال العلمي أو التقني؛ لأنّ هذا الأخير تنتفي معه ضرورة الحجاج، طالما أنّ الأمور تكون محسومةً بالقبول أو الرفض²⁹. ويمكن القول أنّ مراكز الضبط في عالم النص بالنسبة للنصوص الجدلية (**Argumentative**) هي قضايا كاملة تنسب إليها قيم الصدق، وتكرر فيها أنواع من الوصلات مثل: القيمة، الإفادة، الإدراك، والإرادة، والسبب، ويشتمل النص السطحي على جملة من عبارات تحديد القيمة³⁰.

6- آلياته:

يقوم المنهج الحجاجي على عدّة أدوات إجرائيّة يمكن توضيحها في:

الإخبار: وهو كلّ خبر يحتمل الصدق أو الكذب، وهو لفظ يدل على علم في نفس المخبر التفسير:

يحتاج الموضوع الذي يطرح إشكالية معيّنة كما هو الشأن في المناظرة أو الخطبة في انجازه إلى أساليب للتفسير تساهم في توضيح أبعاده و دلالاته و تجعل المتكلم قادرا على الشرح و التوضيح لخصمه أو من يناظره لغرض الإقناع و أهم أساليبه: (التعريف، الوصف المقارنة و السرد).
الإقناع:

وبواسطته تستخدم الحجج و البراهين للدلالة على صحة الموقف الذي يدافع عنه المتناظرون اعتمادا على أدلة ملموسة من الشواهد، وأخرى تعتمد على مبادئ منطقية، ومن وسائل الإقناع الوسائل اللغوية والوسائل المنطقية الدلالية، التي تؤدي وظيفة الانتقال مما هو مُسلّم به إلى ما هو محل إشكال.
الربط بين الفقرات: يكون بواسطة حروف التوكيد، وحروف العطف، خاصة الواو، وتوظيف عبارات معينة

للنفي أو الإثبات، نحو: لا أريد، مما، لا شك فيه الربط بين الجمل: بحروف العطف وهي: أو، الواو، الفاء، مع استخدام الأسماء الموصولة، مثل: الذي، التي، كما تتميز لغة النص الحجاجي بكونها لغةً تقريريةً، وموضوعية، تعبر عن الأفكار بوضوح ومباشرة، أمّا الأدلة و البراهين فهي: إمّا أدلة منطقية، أو أدلة واقعية، أو أدلة تاريخية، أو شواهد.

7- نماذجه:

يتجسّد النص الحجاجي في برنامج اللغة العربية الموجّه لتلاميذ السنة الثالثة من التعليم المتوسط (الجيل الثاني) من خلال نموذجين هادفين؛ يمثل **الأوّل** موضوع " الموضوعية في الحجاج بتحرير فقرة حجاجية يتعرض فيها المتعلم لأثر الإنترنت على تفعيل دور دفتر المراسلة في عملية التراسل بين الأساتذة وأولياء التلاميذ"³¹، **والثاني** يعالج مسألة " إنتاج نص حجاجي من خلال بيان العلاقة بين العلم والأخلاق واستنادا للحكمة القائلة العلم سلاح ذو حدّين، موظفا فيه التلميذ كل المكتسبات النحوية والبلاغية القبلية (أفعال الشروع، والصفة المشبهة، وأدوات الشرط الجازمة"³²، **والثالث** إنتاجا شفهيّا من خلال "خطاب يعرضه المتعلم على زملائه يذكر تخصصا تكنولوجياً أفاد الإنسان، وفي المقابل كانت له سلبيات يعددها ويدعم رأيه فيه بالحجة"³³؛ لكن ما يلاحظ أنّ حضور هذه النماذج في الكتاب السنة الثالثة متوسط (الجيل الثاني) مازال محتشما، نأمل في توسيع دائرة الحجاج وإثرائه حتّى تتضح معالم هذه النظرية التداولية عموما، ومحاسنها في تعلّم اللغة العربية خصوصا.

ويمكن تصميم الهيكل الفكري للموضوع الحجاجي الأوّل وفق هذه الخطة:

أ- المقدمة: وتتضمن النقاط التالية:

مفهوم الإنترنت، مفهوم دفتر المراسلة وأهميته في عملية التراسل الالكتروني بين الأساتذة والأولياء.

ب- العرض:

- أهمية الانترنت في عملية التراسل بين المؤسسة التربوية وأولياء التلاميذ
 - توثيق عرى المودة بين الأولياء والأساتذة لإزالة الحواجز النفسية والاجتماعية بينهما مما يكون باعثا على - شعور التلميذ بنوع من الأمان والثقة داخل المؤسسة التربوية أو خارجها
 - دفتر المراسلة هو وثيقة شاهدة على نتائج التلميذ طيلة الموسم الدراسي، وإطلاع الأولياء عبر التراسل الالكتروني سيقوّي صلة الرحم العلمية التي تجمع المدرسة بالأسرة³⁴.
 - يسمح التراسل الرقمي بمعرفة أولياء التلاميذ والمجتمع ككل بدور المؤسسة التعليمية، وكذا طبيعة الخدمات التي تقدمها للمتعلمين، وإطلاعهم على النظم التربوية المتبعة في المؤسسة
 - إتاحة الفرصة لمشاركة أولياء التلاميذ في تقديم الملاحظات والدعم .
- إبلاغ الأولياء عن سلوك أبنائهم داخل المؤسسة

- يعمل التراسل عبر الانترنت على حلّ مختلف المشاكل وتذليل الصعوبات التي يتعرض لها التلاميذ كبطء التعلم، أو التأخر الدراسي، أو صعوبة التعلم.

ج- الخاتمة:

رقمنة دفتر المراسلة للتلميذ والتراسل الدائم والمستمر بين الأساتذة والأولياء سينمي حتما الأفكار، ويجعلها متبادلة في تربية النشء بأسلوب حضاري وتكنولوجي حسن ومتكامل لبناء شخصية تحب العلم والتقنية والتكنولوجيا لهذا التلميذ.

أمّا بخصوص الموضوع الثاني وهو تدريب المتعلمين على إنتاج نص حجاجي من خلال بيان تلك العلاقة الوطيدة بين العلم والأخلاق، فعلم بلا أخلاق كشجر بلا أوراق، لذا تجد التلاميذ يحرصون كل الحرص على توظيف مكتسباتهم القبلية في موضوعات النحو والبلاغة لإقناع المعلّم بأهمية الضمير الأخلاقي والثقة بالنفس وكذا القيم السامية للعمل وطلب العلم.

أ- المقدمة: وتتضمن النقاط التالية:

- الأخلاق حاجة وضرورة إنسانية من أجل ضمان حياة كريمة.
- إلّا أنّها تختلف بحسب عقول ومستويات الناس الفكرية والثقافية.
- العلم البسيط والساذج بدون خلق حسن غير مهذب قد يهلك صاحبه.
- ضرورة تدخل المحصنات العقلية والمبادئ الدينية والقيم لإرشاد وتوجيه وفتح آفاق هذا العلم.

ب- العرض:

- تحديد مفهوم العلم وأهميته أفقياً (حسب المواضيع) وعمودياً (حسب مستويات الفئات الاجتماعية).
- مفهوم الأخلاق الإنسانية وتحديد طبيعتها وأسس بنائها:
- المصادر الدينية - مبادئ وقيم - التفكير المنهجي.
- محدودية ومساوئ العلم المجرد من الأخلاق وما ينجر عنه من اتخاذ المواقف الخاطئة والضارة.
- دور الأخلاق الحميدة وضرورتها حيال العلم والمعرفة
- تحمل طالب العلم على التحليّ بها من تنمية شخصيته عند اتخاذه المواقف والتدابير الصحيحة والنافعة.

ج- الخاتمة: وتشمل على:

- تلخيص عناصر العرض.
- تأكيد صحة ما جاء في المقدمة.
- الدعوة إلى التوأمة بين العلم والأخلاق.

*- ملاحظة توجيهية:

وهي جملة من الإرشادات المساعدة على كتابة نص حجاجي، ومن ضمنها:

- إيراد الأحكام مشفوعة بأمثلة وشواهد (على مستوى الأفراد و الجماعات والدول).

- الاستئناس بمراجع دينية وأدبية

- استعمال الروابط المنطقية بين الفقرات ³⁵.

وبخصوص الموضوع الثالث وهو التعبير الشفهي بأسلوب حجاجي، فيمكننا تحليله وفق الأهداف التي سنفصل الحديث عنها في العنصر الموالي.

8- أهدافه:

من جملة ما يسعى إليه هذا الملف الخامس في كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة متوسط - الجيل الثاني هو تحقيق عدّة أهداف لعل أبرزها:

- اللغة تعبير عن المعاني والأفكار.

- التمييز بين الأفكار الجوهرية والعرضية، وإصدار الأحكام النقدية على المقروء، وتوظيفها.

- امتلاك القدرة على المحادثة والكتابة بلغة سليمة، وفي مستوى ملائم للمتعلم.

- إيصال المتعلم إلى التفكير الصحيح بوضوح، عن طريق البحث والتدوين، وجمع الحقائق وتنسيقها.

- التمكن من الإقناع وعرض الحقائق عرضا واضحا.

- القدرة على الإسهام في النشاط اللغوي بألوانه المتعددة ³⁶.

واللافت للنظر أنّ النص الحجاجي الذي تمّ التركيز عليه في انتقاء النصوص الأدبية والتواصلية في المرحلة المتوسطة ³⁷ جاء تماشيا مع توظيف المقاربة بالكفاءات، والتي تسعى إلى وضع مبادئ تربوية توافق الحاجات الفيزيولوجية والوجدانية والعقلية للمتعلمين، بهدف تنميتها تنمية متسقة ومتزنة؛ بحيث لا مجال للاهتمام بالحاجات المستقلة عن بعضها، ولذا فمن الطبيعي أن يجسّد اختيار النصّ الحجاجي عدّة غايات من ضمنها:

- "غرس نزعة عقلية في سلوك المتعلمين وفي طريقة تفكيرهم

- النص الحجاجي يقرب المتعلمين من أسباب العقل - في سياق بيداغوجي - فيتدربون على الوصول إلى قوّة الإصابة في الحكم، فيسمو تفكيرهم ويرقى سلوكهم فيبتعدون عن السلبية والحدس والتخمين والانسياق وراء تيارات جارفة دون تبصر ولا تمعّن" ³⁸.

وعليه فمكتسبات النحو والصرف والبلاغة كلّها مكتسبات يوظّفها المتعلم لاكتشاف ما في النصّ الأدبي من كنوز، وفي عالمه المعقّد من كوامن للمعاني والأفكار.

وصفوة القول، أنّ تعليم اللغة يتطلّب توظيف المناهج الكفيلة بتحقيق المتعلم لها في الواقع، ولهذا يعدّ المنهج الحجاجي أفضل تجسيد لملكة اللغة؛ إذ لم تعد هذه الأخيرة قواعد جافة ترسخ في الأذهان، بل أضحت أفعالا كلاميّة منجزة، بواسطتها يتمّ استخدام اللغة وفق السياقات المختلفة تماشيا مع أيّ موقف تواصلّي، والحاصل هو تمكين المتعلم من استثمار القدرات التي تؤهّله لاكتساب اللغة واستعمالها وتوظيفها شفوياً وكتابياً في شتى مجالات الحياة.

الإحالات:

- 1- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبع البابي الحلبي، مصر، ط2، 1389هـ- 1966م، ج2، ص: 29-31.
- 2- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، ،مادّة (حجج)، ص: 570.
- 3- أساس البلاغة، الزمخشري، ص: 72.
- 4 - Petit Robert, Dictionnaire de la langue Française, 1er rédaction, Paris, 1990, p : 99.
- 5- ينظر: مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، لمهابة محفوظ ميارة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 81، ج: 3، ص: 532.
- 6- ينظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ط: 1، 2007م، ص: 82 وما بعدها.
- 7- ينظر: تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون وجيل جوتييه، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر الجامعي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط: 1، 1432هـ- 2011م، ص: 13.
- 8 - Voir L'argumentation dans la communication, : Philippe Breton : Edition du CASBAH, Alger, Janvier 1998, p : 3.
- 9- ينظر: التداولية والحجاج: مداخل ونصوص، صابر الحباشة، دار صفحات للدراسات والنشر، ط: 1، 2008م، ص: 21.
- 10- ينظر: نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب: أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم فريق بحث البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1998م، ص: 352.
- 11- ينظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط: 1، 1426هـ- 2006م، ص: 15.
- 12 - Voir :Dudrot O, Les échèles argumentatives, Minuit, Paris, 1980, P : 10-11.
- 13- تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون وجيل جوتييه، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، ص: 13.
- 14- ينظر: المتشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتحنشتين، محمد مجدي الجزيري، دار آتون للتوزيع، د ت، 1986م، ص: 63.
- 15 - Voir note sur l'argumentation et l'acte d'argumenter, cahiers de linguistique Françaises, : Ducrot O, n0 : 4, Genève, 1982, P : 86 .
- 16- رائد المدرسة اللسانياتية التداولية بدرجاتها الثلاث، ومنها نظرية أفعال الكلام، وهو صاحب عدّة مؤلفات في هذا المقام أشهرها: كيف نصنع الأشياء بالكلمات؟ (How to do things with words)، و "عندما يعني القول الفعل" (Quand dire c'est faire).
- 17- ينظر: الملفوظية، جان سيرفوني، ترجمة: قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م، ص: 113.
- 18- ينظر: مفهوم الحجاج وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد محمد الأمين، مجلة عالم الفكر، العدد 2، يناير-مارس 2000، ص: 61.
- 19- ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط: 1، 2005م، ص: 40 وما بعدها.
- 20- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، د ط، 2003م، ج: 1، ص: 56.
- 21- ينظر: مداخلات لسانيّة: مناهج ونماذج، بنعيسى أزيبط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، سلسلة دراسات وأبحاث رقم: 28، 2008م، ص: 79-80.
- 22- الكتاب المدرسي، مسار الإصلاح، وزارة التربية الوطنية، مديرية المناهج، المغرب، 2005، ص: 34.
- 23- ينظر: سلطة الكلام وقوة الكلمات، أبو بكر العزاوي، مجلة المناهل، وزارة الثقافة والاتصال المغربية، السنة 25، العدد 62-63 ماي 2001م، ص: 142-143.
- 24- اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي - الأسس المعرفية والديداكتيكية، علي آيت أوشان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط: 1، 1998م، ص: 21-22.
- 25- ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي - من المعرفة العلمية إلى المعرفة المدرسية، علي آيت أوشان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط: 1، 2005م، ص: 76.
- 26- اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي - الأسس المعرفية والديداكتيكية، علي آيت أوشان، ص: 42.

- 27- ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، د ط، 2001م، ص: 20.
- 28- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، ص: 266.
- 29- ينظر: مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشاتم بيرلمان، محمد الولي، مجلة عالم الفكر، المجلد 40، العدد 2، أكتوبر- ديسمبر 2011م، ص: 13-14.
- 30- ينظر: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، روبرت دي بوجراند، عالم الكتب، القاهرة، ط: 1، 1418هـ- 1998م، ص: 415-416.
- 31- ينظر: اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم المتوسط، ميلود غرمول وآخرون، دار أوراس للنشر، الجزائر، ط: 2017، ص: 100.
- 32- ينظر: المرجع نفسه، ص: 107.
- 33- ينظر: المرجع نفسه، ص: 91.
- 34- ينظر: علم النفس التربوي وتطبيقاته، محمد جاسم لعبيدي، مكتبة دار الثقافة، عمان، ط: 1، 2004م، ص: 292.
- 35- ينظر: اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي، تنسيق وإشراف: مربي الشريف، تأليف: حراجي سعيدي وآخرون، ط: 1، 2007م-2008م، ص: 93-94.
- 36- ينظر: دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد، دار هوم للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000م، ص: 106-107.
- 37- ينظر: كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة متوسط، ط: 2017، ص: 97-103.
- 38- ينظر: المشوّق في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة، السنة الأولى من التعليم الثانوي: جذع مشترك علوم وتكنولوجيا، إشراف: محمد خيط، وزارة التربية الوطنية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، ط: 1، 2005-2006 م، المقدمة.